



لم تعد عواصفنا فنجانية، ولم تعد ثلوجها بردًا وسلامًا على المكتوين بنار الحروب الأهلية في بلادنا المنشقة عن أبجدياتها القديمة، والثائرة كبركان ياباني على طبيعتها الأم.  
فقد اكتسح طوفان أليكسـا الثلجي مدنـاـ الثـائـرة ليعلنـ نـهـاـيـةـ رـيـبعـ مـزعـومـ ظـنـ العـربـ أـنـهـ قدـ غـشـيـ مؤـخـراـ سـاحـاتـهـمـ السـيـاسـيـةـ  
الجرداءـ.

وفي غمضة حزن وانتباـتهاـ، اكتـسـتـ المرـوجـ والـسـهـولـ والـطـرقـ والـوـدـيـانـ وـقـيـابـ الـمـآـذـنـ وـأـجـرـاسـ الـكـنـائـسـ وـأـسـقـفـ الـبـيـعـ  
والـصـلـوـاتـ، وـحتـىـ أـعمـدةـ الإـنـارةـ أـمـامـ بـيـوتـ الدـعـارـةـ وـالـحـانـاتـ وـاسـطـبـلـاتـ الـخـيلـ وـعـربـاتـ السـرـيـحةـ فيـ خـواـصـرـ المـدـنـ يـغـشـاءـ  
غـيرـ رـقـيقـ مـنـ بـيـاضـ غـيرـ شـفـافـ وـغـيرـ بـرـيءـ،  
لـكـنـ أـطـفـالـ بـلـادـنـاـ المـنـكـوبـةـ لـمـ يـخـرـجـواـ كـحـواـ رـوـسـيـاـ لـيـتـقـاذـفـواـ كـرـاتـ الـثـلـاجـ وـيـصـبـواـ الـجـلـيدـ الـمـذـابـ فـوـقـ أـبـدـانـهـمـ الغـضـةـ،  
وـلـكـنـهـمـ فـرـواـ كـجـرـذـانـ مـذـعـورـةـ لـيـحـفـرـواـ بـأـظـافـرـهـمـ الغـضـةـ فـيـمـاـ تـبـقـىـ مـنـ تـرـابـ لـيـدـفـنـواـ أـعـضـاءـهـمـ الـمـتـخـشـبـةـ فـيـ عـرـاءـ عـرـبـيـ غـيرـ  
مـسـبـوقـ.

فـوـقـ أـسـلـاكـ الـحـدـودـ، نـشـرـ السـوـرـيـونـ الـهـارـبـوـنـ مـنـ الـحـمـ وـالـقـذـائـفـ مـخـاـوـفـهـمـ، وـمـاـ تـبـقـىـ لـدـيـهـمـ مـنـ مـتـاعـ مـبـتـلـ فـيـ اـنـتـظـارـ أـيـ

شمس تشرق من أي فضاء على جروحهم الدامية.

وعلى فوهات خيامهم، وقف أطفال في عمر الحلم ينظرون من طرف خفي إلى بلاد كانت لهم قبل أن تتحول إلى خيام إيواء باردة، وفي عيونهم نظرات اتهام زائفة يوزعونها يميناً وشمالاً على حدود أغلقت بوابات نخوتها أمام أخامض أقدامهم المتلبسة، في انتظار مواسم دفن جماعية لأقران استطاعوا الفرار من الحمم الروسية ومن الجنود الروس، لكنهم عجزوا عن صد أليكسا التي قدمت من روسيا كرمية من غير رام، ليجتمع على الفارين بجلودهم عذاب أهل المشارق والمغارب في دنيا تضيق بأنفاسهم وطرقات أقدامهم الصغيرة شيئاً فشيئاً.

وفي غزة، استطاعت أليكسا أن تهزم المقاومين في عقر دارهم وأن تجبرهم على الرحيل عن بيوت من الطين والقش لطالما شبّثوا بأخشابها المتهاكلة.

وفي موجة نزوح أخرى، أجبر أربعة آلاف من الغزاويين اجتمعت عليهم أمطار السماء ومجاري الأرض على ترك أسلابهم القليلة خلف ظهورهم وركوب أخشاب ليست كسفينة نوح أعدتها فرق إنقاذ بدائية على عجل. لكن مراكبهم لن تستوي على الجودي لأنهم سيحطون على واقع ذي مهانة تقطع فيه الكهرباء أكثر من عشرين ساعة كل يوم، وتعز فيه اللقمة اليابسة والشربة المريئة.

وفي مصر، توقفت حرب الأصابع حتى حين، واضطر الواقفون تحت مظلاتهم الصغيرة إلى الهروب بمعاطفهم المبتلة والبحث عن الفراش الآمن.

وتحت الأغطية الثقيلة، شرب الناشطون من طرف الهزيمة مشروبات دافئة وتفرغوا لكيل الاتهامات وجمع الافتاءات والسب والطعن والبذاءة.

لكن أصحاب الوسائل الخالية نسوا بعض البائعين الجاثلين فوق الأرصفة الباردة، وقد تدلّت أياديهم المتخلّبة بعنقى الفل وعلى السجائر.

أما المخططون للإضرابات والاحتجاجات وأصحاب قوافل القمع والهراوات الغليظة فقد وقعوا هدنة مؤقتة مع الفوضى، ووضعوا رؤوسهم الخالية فوق وسائل باردة في انتظار إشراقة كره جديدة.

شكراً أليكسا، لأنك أعدتنا ولو قليلاً إلى إغفاءة وإن كانت مؤقتة ومضطربة تتناوشها الكوابيس المزعجة والقشعريرة الإجبارية.

شكراً لأنك وحدتنا على الفرار من الميادين، وألزمنا بيotta لنشاهد بعض البرامج الهدافة مع أطفال نسيناهم في زحمة الصرخات العابثة.

وشكراً أليكسا لأنك أيقظتنا من غيبوبتنا الربيعية لنعلم أن لا ديمومة لثورة ولا بقاء لتأثير. وشكراً أليكسا لأنك غطيت الميادين النافرة بالبياض، فأعادت طلاء أوعيتنا بلون واحد حتى وإن كنا عنها غائبين.

لكن بالله يا أليكسا، لا تنس من عدالتك أطفالاً لم يرفعوا لافتة تندد بأحد، ولم يرفعوا حجراً ولا زجاجة مولوتوف في وجه ثائر ولا شرطي، ولم يحتزوا امرأة لا حول لها أو يحرقوا قسم شرطة أو ثكنة عسكرية، أو يفسدوا في الأرض بعد إصلاحها. بالله لا تعنفي مع أجسادهم الغضة ولا تحاسبهم بما فعل السفهاء منا، فلا تخثري الدماء في عروقهم الرفيعة، ولا تجمدي الهواء في رئاتهم الهشة، ولا تجعلني لهم نصيباً من موسم غضبك.

وارفعي أليكسا قدمك الباردة عن المحاصرين هنا وهناك، واجعلي بردك دفناً وسلاماً على المحسنين في الأرض الذين لا يبغون علواً ولا فساداً ولا كرسياً في برلمان أو حكومة.

ولا تتنقل الوطء ولا المقام على من لا مأوى له من رياحك العاصفة وزخات ثلجك.  
كوني رحيمة بمن نسيتهم حكوماتهم وأدار لهم إخوتهم ظهورهم وتنكر لهم الأقربون، فعاشوا في شتات الأرض دون أن يدرى  
بما سيمهم أحد حتى أخرجهم غضبك من أحزانهم الكبيرة.

عودي أيتها الماردة الروسية إلى الكرملين، وأخبري الجالسين فوق خرائط القرار هناك أننا شعوب من أفاسدي الحياة نبحث  
عن الحياة ونستحق الحياة، وأن جيوشنا لم تعد تستطيع حمايتنا من صواريختهم العابرة وبيوتنا ليست مؤهلة للتعامل مع  
منخفضاتهم الثلجية، وأننا لا نستطيع صناعة كرات الثلج بأصابعنا المعقوفة كما يفعلون.  
إرحل في سلام يا أليكسا ولا تعودي حتى يصلح الدهر ما أفسدت الكراهية في أرضنا وحتى تعود أوطاننا أوطنانا وملائكتنا  
منازل.

## الوسط

المصادر: